

نص الرسالة السامية التي وجهها صاحب الجلالة الملك محمد السادس الى المشاركين في أشغال الجمع العام لمرصد الصحراء والساحل

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه
حضرات السيدات والسادة.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز بالنسبة للمملكة المغربية أن تستقبل في عاصمتها اليوم الجمع العام لمرصد الصحراء والساحل الذي يجمعنا بعدد من الدول الشقيقة والصديقة التي نتقاسم معها إلى جانب مشاعر المودة وأواصر الأخوة انشغالات واهتمامات حول مصيرنا المشترك.
وإن هذا المحفل الرفيع المستوى الذي تشارك فيه دول من القارة الإفريقية إلى جانب ممثلي عدد من الدول الأوروبية الصديقة ليعبر أفضل تعبير عما نصبو إليه جميعا من أجل وضع أسس تعاون متعدد الأطراف حول قضايا نعتبرها مشاغل إنسانية تقتضي تضافر جهود الجميع ووضع أسس تضامن متجدد في مبادئه وصيغته.

يدشن العالم وهو على مشارف الالفية الثالثة حلقة جديدة من تاريخه تتميز عن سابقتها بتسارع وتيرة التغيير وبالتحولات الجذرية الطارئة على أنماط الإنتاج والتفكير والانتشار الشامل لتقنيات الإعلام الحديثة والتكنولوجيا بمختلف أشكالها.

ولئن كانت هذه المميزات مدعاة للإفتخار بالنسبة للبشرية قاطبة لما تحمله في طياتها من علامات التقدم والرفاه في الحياة اليومية وابتكارات علمية هائلة وحظوظ ارتقاء الانسان درجات في الحضارة والنبوغ فإنها في نفس الوقت تنزامن مع مظاهر أخرى أقل إشراقا وأشد خطورة.

تتجلى هذه الأوضاع في الظروف الحياتية السيئة التي يعيشها أزيد من خمس سكان عالمنا أي ما يناهز مليار و 300 مليون من أبناء البشرية وتفتشي ظاهرة الفقر التي تزداد تفاقما مع تدني موارد الرزق المستديمة في الأرياف خاصة منها بعض المناطق الجغرافية من عالمنا وتكتسي أوجها قاسية في فضاءات تعاني من تدهور مواردها الطبيعية ومن محاصرة الجفاف والتصحر.

فقطالنا يوميا صور قاتمة لرجال ونساء وأطفال معدمين في الأرياف مجردين من الوسائل اللازمة لضمان العيش الكريم الشيء الذي يجعلهم عرضة للأمراض والأوبئة وجميع أشكال الفاقة.
وجميعنا يعلم أن هذه الصورة القاتمة تعني بالأساس عددا من المناطق في القارة الإفريقية المتعرضة لجميع أشكال التهميش والتي نوليها نحن في المغرب أهمية خاصة.

حضرات السيدات والسادة.

إننا لنستحضر هنا ذكرى والدنا المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه والذي كان يعتبر من أخلص المدافعين عن القارة الإفريقية وعن ضرورة واستعجال اتخاذ التدابير على الصعيد الدولي لتدارك الموقف وإدماج قارتنا في مسلسل التنمية وكان رحمة الله عليه يدعو باستمرار إلى إخراج قارتنا من صيرورة التهميش التي دخلتها منذ عقود ونزع فتيل الانفجار المحقق بها إن لم تتجدد كافة الأسرة الدولية لرفع عوائق التنمية عنها وفتح آفاق جديدة أمام شعوبها وأجيالها الصاعدة.

وفي السياق نفسه سبق لنا ونحن آنذاك ولي عهد مملكتنا في يونيو 1992 أمام المؤتمر الدولي حول موضوع الأرض والذي انعقد في ريو دي جانيرو بالبرازيل أن دعونا المجتمع الدولي إلى إيلاء أهمية خاصة للقارة الإفريقية التي تعاني باستمرار من تلاحق الكوارث الطبيعية وتعاقب سنوات الجفاف وتسارع التصحر واقتربنا آنذاك ابتكار معاهدة خصوصية في هذا الشأن تعني بالقضايا الناجمة عن الزحف المزعج للتصحر وتواتر ظاهرة الجفاف.

ولقد أتيت لنا أيضا في يونيو 1997 أمام الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك والمخصصة لدراسة وتقييم وثيقة مؤتمر ريو دي جانيرو والمدعوة ب "برنامج 21" أن دققنا ناقوس الخطر. وصرحنا أنذاك بأن من شروط الحفاظ على السلم والأمن الدوليين الاعتناء بحماية البيئة والمحافظة على الموارد الطبيعية لصالح الجميع ذلكم ان ظاهرة الخصائص أصبحت بارزة للعيان بالنسبة للعديد من الموارد الحيوية وهو الأمر الذي من شأنه ان يزيد من اسباب التوتر وينذر بنشوب النزاعات في جهات مختلفة من المعمور اذا لم تتخذ الاسرة الدولية التدابير اللازمة والمستعجلة لإذكاء الامل وتفعيل جميع اشكال التضامن.

حضرات السيدات والسادة.

لقد أصبح من المسلمات ان جميع المخططات الهادفة الى مكافحة التصحر والحفاظ على الموارد الطبيعية لا بد لها ان تتداخل بصفة حميمية مع سياسات وتصاميم التنمية المستدامة وبالتالي لا يمكن فصل مشكل التصحر عن مشكل التنمية بصفة عامة.

فاذا كنا نريد حقا محاربة التصحر او على الاقل الحد من اثار الجفاف وتدهور المحيط الطبيعي والبيئي في بواديننا فيلزمنا الاهتمام بجميع مظاهر التنمية القروية المستدامة واستئصال أشع أوجه الفقر فيها من خلال برامج تنموية مندمجة يسري مفعولها على المدى المتوسط والبعيد.

وعلى هذه البرامج ان تشمل على الخصوص ترشيد استعمال الموارد الطبيعية وصيانتها وتنويع مصادر العيش في العالم القروي واعداد التراب وتجهيزه بالمرافق الاساسية واشراك المستعملين في تدبير الثروات المتاحة والعمل عموما على سن سياسة تهدف الى الرفع من المستوى الاجتماعي والتكويني والثقافي للإنسان القروي حتى يمكن ادماجه حقا في عملية التنمية الاقتصادية الشاملة للبلاد وبالأحرى في تطور الانسان بصفة شمولية.

حضرات السيدات والسادة.

لقد بات من الصعب بل ومن المستحيل تشخيص الظواهر الطبيعية والبيئية الكبرى كالجفاف والتصحر او محاولة معالجتها انطلاقا من رؤى وطنية او قطرية ضيقة تقف عند الحدود الجغرافية والسياسية للدول. ان هذه الظواهر بحكم طبيعتها لا تعترف بهذه الحدود اذ أن اثارها وانعكاساتها السلبية تمتد لتعبر الدول والقارات لتتجم بوطأتها على مجالاتها الحيوية وتشكل بالتالي هاجسا مشتركا لكل الشعوب. وبقدر ما تأخذ هذه الظواهر من بعد دولي بقدر ما تدعونا معالجتها الى الابتعاد عن النظرة الاقليمية والانخراط في مقاربة عالمية تعتبر وحدها الكفيلة بجعل المنتظم الدولي يتحمل مسؤوليته التاريخية في اطار من التضامن والتآزر.

ومما يدعم حتمية تبني هذه المقاربة ما يعرفه العالم اليوم من مؤشرات دالة على وحدة مصير البشرية لاسيما أن العالم اليوم أضحى كيانا متلاحما ملتئما يشد بعضه بعضا بشكل يصعب معه تصور تنمية رقعة جغرافية دون الأخرى.

ونقتضي هذه الرؤية الشمولية التي يفرضها حجم الظواهر المنشود معالجتها تصور خطط وبرامج جهوية ودولية تمتد على المدى البعيد تجند لها جميع الامكانيات الضرورية والخبرات والتقنيات الحديثة وتعبأ لها موارد مالية منتظمة لضمان نجاعتها وتحقيق غايتها.

ولاننا نعيش ظرفية تتهددها مخاطر جديدة ترتبط بالتحويلات المناخية وتفاقم ظاهرة التصحر يتعين علينا اكثر من أي وقت مضى العمل على حماية مواردنا الطبيعية والحفاظ عليها حتى نمكن الاجيال المقبلة من العيش في عالم يطبعه التضامن والرخاء.

نحن اليوم على بينة من أن الموارد المائية هي مفتاح التنمية في بلداننا وبقدر ما تعد هذه الموارد نادرة بقدر ما تمثل رهانا اساسيا على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومن تم فانها تشكل مصادر توتر داخل كل بلد من بلداننا وكذلك فيما بين البلدان التي تتقاسمها.

ولذا علينا ان نعمل جاهدين حتى لا يصبح الماء مصدر صراعات ونزاعات فرغم الصعوبات التي تعرفها بعض العلاقات الدولية في هذا المجال يحذونا طموح الى العيش في خضم حركية يتحكم فيها منطق الونام والتعاون بدل القطيعة والمواجهة حركية تنتصر فيها ارادة الشراكة والتضامن .
ومن هذا المنطلق احتضن المغرب أول ملتقى عالمي للماء في مارس 1997 الذي شكل خطوة هامة لبلورة وعي جماعي بأهمية هذه الاشكالية ومرحلة بارزة في ارساء أسس حوار وتعاون دوليين اصبحا من الضرورة بمكان.

حضرات السيدات والسادة.

سيكون جمعكم العام اليوم مناسبة لاتخاذ قرارات حاسمة ستحدد مستقبل مرصدنا لتضع رهن اشارته اليات جديدة ستساهم ولا شك في الرفع من مستوى ادائه.
ما احوج عالم اليوم لصورة واضحة عما تعانيه دول الصحراء والساحل من حجم الجفاف والتصحر ومن هنا تتجلى لنا جسامة مسؤولية المرصد الذي سيساهم ولا محالة في بلورة تشخيص واقعي للوضع الراهن ويقترح مناهج العمل الناجعة لمعالجة هذه الاشكالية.
ان التغييرات المؤسساتية التي تعتمون استحداثها على مرصدنا ستجعل منه ولاشك منبرا عاليا من شأنه ان يفتح افاقا جديدة امام صوت بلداننا كي يصبح مسموعا على الساحة الدولية.
"وفكم الله وكلل بالنجاح اعمالكم والسلام عليكم ورحمة الله